المنتهى الأخير

رواية

الكتاب: المنتهى الأخير / رواية

الكاتب: خالد محمد غازي

الطبعة : ٢٠١٨

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم ـ الوحدة العربية ـ مدكو ر- الهرم ـ الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

غازى، محمد ، خالد

المنتهى الاخير – خالد محمد غازي – الجيزة – وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨

تدمك : 6 – ١٣٠ – ٥٧٧٢ – ٩٧٧

١٣٧ ص ، ١٨ سم .

رقم الإيداع / ١٠١١١ ٢٠٠٨

رواية

المنتهى الأخير

خالد محمد غازي

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

إهداء :

إلى لنا .. معها كانت البداية

(١)

بلغني أيها الملك السعيد ..

أنك ستداري قصتك معي، كما يداري أمير عشقه لبائعة الورد..

سترمي أوراقي في درج مجهول قائلاً: إنها ليست لك ..

ستدفن أيامي في صندوق الذاكرة الصدئ، وتلقي مفتاحه في غور كبريائك ..

ستنكر أنك حللت ضفائري، وأنك فككت أزرار ثوبي، وضممتني إليك عارية، نقية كعروس بحر .. لن تجرؤ على الاعتراف إنك غفوت على صدري طفلاً .. وإنك بُحت لي بكل أسرارك.

ستنكر معرفتك باسمي .. وحين يسألونك عن تلك الفتاة الغريبة القادمة من أرض بعيدة، والتي وصفتها يوماً بأنها تضع الكرز على شفتيها والسنابل على شعرها، ستؤكد أنك ما عرفتها أبداً، وأنها كاذبة تدعي معرفتك.. ستطلب من رجالك السماح لها بالمبيت في فندق الغرباء، شرط أن ترحل قبل بزوغ الفجر .. ستأتي إليها ليلاً، باكياً تنزف حزناً وندماً وتضمر أنانية وخوفاً، ستعتذر وتطلب منها غفران تجاهلك .. ستشرح حكاية منصبك وهالتك الضوئية التي لا يمكن لأية امرأة أن تخترقها .. ستحكي كثيراً ..كثيراً عن لوعتك،

عن عجزك، لكنها لن تسمع، لأنها رحلت بعيداً، وأنت مغمض العينين تطلب الصفح.

وأدرك شهرزاد الصباح، ورحلت .. وسكتت عن الكلام المباح.

(٢)

أتعبني الرجوع إلى قطار عمري .. أتعبني هذا القطار يهرول مسرعاً.. ويدوس على أوجاعي .. ما عاد ينفع الكلام .. أو الاعتذار أوالتراجع .. لماذا لم نلتق من قبل ..؟!

لما التقينا، جعلتني أتذكر أن لقاءنا الأول كان منذ أكثر من عشرين عاماً، أتذكرين .. ذلك الولد المشاغب .. والبنت ذات الضفائر .. هو أنا، وهي أنت ..

دعينا نتبرأ من الأسماء .. من الأماكن .. من الأزمان .. ومن المسؤوليات ومن كل شيء إلا انتماء كلانا للآخر.

الآن أعيش ذكرياتي – لا أدري ما السبب – أرجع في ثياب الصبا، حتى أرى كيف رأيتك أول مرة، وماذا كتبنا ؟ وهل وصلتك رسالتي الأولى.. أم طوتها صديقتك في صدرها، واحتفظت بها لنفسها؟

أين سافرنا؟ وماذا كتبنا ؟ ومن الذي دبر المكائد بيننا ليفرقنا؟.. بكيت وحدك، ورفضت الحوار معي .. تهورت فافترقنا.

يأتي صوتك عبر المحطات والموانئ والبلاد البعيدة، عبر الصحراء ينادي عليّ.

الماضي يأتي إلي بيتي ويزورني، يسحبني من يدي مرة أخرى ويقول لي تعال نرى العالم مرة ثانية !

لا تبتعدي أكثر .. لا تبتعدي مسافة أطول .. هذه النار التي احترق بها لا أريدها أن تحرق قلبك، وتلتهم سكون أيامك الحاضرة .. كل رسالة إليك هي احتراق، وكل كلمة منك تشعل النار مائة عام في جسدي .. هل تصدقين ؟!

(٣)

سكان بلدتنا تندروا بحكايات كثيرة عن جدي .. يقولون إنه يظهر فجأة في أمكنة مختلفة لمساعدة المنكوبين ، وقالوا إنه حارب في فلسطين ضد الإنجليز، وإنه طاف بلداناً كثيرة، قاصداً البحث في بلاد الله الواسعة عن كل مَن يريد العون والمساعدة، لكن جدي كان رجلاً حقيقياً بعيداً عن كل تلك الثرثرات التي حيكت حول قدراته وبركاته.

رجل اسمه يظل ملفوظاً وذكره محفوظاً، لم يزل صداه يتردد بأخبار زهده.. أحببتُ أخباره، وكشف أسرار عظمته فكأنما أحببت المحال، وبحثت عنه، حتى عرفت أي صنف من البشر هو، أتبعه بلا خوف "خذ بيدي عبر محطات القوافل حتى تخوم النشوة والتوحُّد".

كان غارقاً في عبادته، بدت تلك العبادة أمراً خارقاً لسكان البلدة .. إنهم لا يترددون في الإجماع والتأكيد على أنه يمتلك قدرات تفوق قدراتهم الجسدية والروحية.. كنت في الثانية عشر عندما مات جدي. ما عرفته عنه كان من ملازمتي له من سن السادسة، ومما كانت والدتي وعماتي يخبرنني به، حينها كنت صغيراً جداً، وكان هو عملاقاً جداً في نظري، يرتدي العباءة البيضاء الناصعة ذات الأكمام الواسعة ويضع على رأسه طاقية بيضاء صغيرة، يسير بخطواته الواثقة فجراً نحو الجامع ليصلي الفجر، يمر على بيتنا فيطلب من أمي إيقاظي كي أذهب برفقته، أتذمر، أتأفف، وأتظاهر بالنوم، فيقول لها بحسم: "قولي له أن يتبعني" .. أقوم على مضض فألحق به .. أسير بجانبه أحاول أن أكلمه، فلا يجيبني في كل الأوقات، قلت له ذات مرة "لماذا يقولون عنك شيخ"؟

فأجابني: – وأنت ماذا تقول ؟

قلت : – وأنا أقول مثلهم.

قال : وماذا تعني كلمة شيخ؟

قلت ببراءة :"لا أدري".

أمسكني من كتفي ووضع يده الكبيرة على رأسي، ثم ابتسم قليلاً وكأنه لا يوجه حديثه لي: "ربما كنت تشبهني، لذا لن أقول لك ما معنى شيخ، عليك أن تدركها بنفسك، وأن تبدأ من حيث انتهيت أنا".

أمسك بيدي وتابعنا سيرنا، فعاد يتمتم، ربما كان يظنني لا أسمعه "لا تجعلها تغرك بمجرد مرورها قربك، لا تركن إلى هذا الجسد، لا تطمع من الحياة بأكثر مما منحته لك".

يومها لم أستوعب غاية كلماته، لكنني اليوم أذكره أكثر من أي وقت مضى.

فجأة يتلاشى كل شيء في شحوب الوقت.

(٤)

بلغني أيها الملك السعيد ..

يوم ولادتي ألبستني أمي ملابس صبي، وقدّمتني للناس والجيران باسم صبي، مع أني أرق من عود الريحان .. خافت أمي أن يكون

مصيري مصيرها، أقضي حياتي في سفر وترحال من وطن إلى وطن .. ومن انتظار إلى انتظار، لكنها علّمتني أن الخوف لا يولّد انتصاراً .

الكلمة كلمتي والمشورة مشورتي، والكلمة أبدعتها ونسقتها، فنطقتها، ورثت عن أمي الخيال والجمال .. وورثت عن أبي سداد الرأي وعزيمة الرجال .. ذات يوم قدّمتني أمي لأبي على أنني صبي من الصبيان الثلاثة.. أنا بنت أمي التي لم تنحني لسلطان .. شهرزاد التالية، ستتشوق لمعرفة حكايتي، ليست حكاية جديدة من حكايات ألف ليلة وليلة، إنها الحكاية الحقيقية لقصة لم تقل بعد ولم تكتب حتى الآن، ولم تحك لأحد قبل اليوم .. تسألني: لماذا الليلة بالذات ؟ الليلة أحتفل بيوم ميلادي الحقيقي، يوم بعث القصة الحقيقية لكتاب أمي "ألف ليلة وليلة" والذي سمعته ألف مرة وأنا مختبئة تحت سرير أبي وأمي.. كل ليلة أسمع الحكايات وأجمع القصص، وأكتب ما يعجبني، وأترك ما لا يروق لي .. وبعد أن تنتهي أمي من الحكاية، ألبس العقال وأمشي في البلاد.. تركت بلادكم ومعي حكاياكم ..

سأركب الخيل، سأسبح في الوديان وأكلم الغربان، وأنظر في أعين الرجال، لأعرف مكنون الأشواق .. سأعد سنابل القمح،